المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث
العدد الثالث - المجلد الرابع
سبتمبر 2018 م
ISSN: 2518- 5780

المجلة العربية للعلوم و نشر الأبحاث
Arab Journal of Sciences & Research Publishing
AJSRP

جهود ابن هشام البلاغية في شرح بانت سعاد

عبد الله سعد محمد الرويس
جامعة شقراء || كلية التربية بالدوادمي

الملخص: يسلط هذا البحث الضوء على الجوانب البلاغية لابن هشام النحوي (ت761هـ)، وذلك من خلال شرحه لقصيدة كعب بن زهير بن أبي سُلْمى (ت26هـ)، وهي من أجمل القصائد التي قيلت بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم. وكشفت هذه الدراسة جهود ابن هشام في علوم البلاغة الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع. وفيما يخص علم المعاني تناول ورود الخبر موضع الإنشاء، والتنكير، وبلاغة القيد، والاحتراس، والالتفات، والإظهار والإضمار، والتكرير، والمجاز الإسنادي. وفيما يخص علم البيان ذكر ابن هشام شيئا من تقسيمات التشبيه؛ كتشبيه المعقول بالمحسوس. وفي شأن التشبيه البليغ أشار إليه في شرحه وحدد بعض مواضعه، وفرق بينه وبين الاستعارة ناقلًا عن البلاغيين في ذلك. أما المحسنات البديعية فقد أشار ابن هشام إلى بعضها كالجناس، والسجع، والترصيع.
وبان من خلال البحث العديد من التطبيقات البلاغية التي استعملها ابن هشام من أجل الكشف عن موطن الجمال في هذه القصيدة. واتضح من خلال البحث رجوع ابن هشام لعلماء البلاغة، والاستشهاد بشواهدهم في مصنفاتهم.

الكلمات المفتاحية: ابن هشام، بانت سعاد، البلاغة العربية.

المقدمة:

يتناول هذا البحث الجهود البلاغية لابن هشام في شرح قصيدة "بانت سعاد" للشاعر الصحابي الجليل كعب بن زهير – رضي الله عنه- .

وتأتي أهمية البحث من مكانة ابن هشام العلمية، وشهرة القصيدة، وقيمة الشرح العلمية.

فابن هشام أحد أئمة النحو البارزين في القرن الثامن الهجري، وجهوده في الدراسات النحوية واللغوية كانت –ولاتزال- محل اهتمام الدارسين، ومؤلفاته في النحو مرجع أساسي للباحثين.

أما شهرة القصيدة فلجودتها سبكًا وحبكًا، ولمكانة كعب بن زهير الشعرية، فهو أحد الفحول المخضرمين، ويعد في مدرسة أبيه زهير بن أبي سلمى المصنف من شعراء الطبقة الأولى من الجاهليين، ومن أشعر شعراء الجاهلية.

وشهرة القصيدة تأتي– أيضًا- من مكانة الممدوح الذي مدحه زهير، وهو الرسول- صلى الله عليه وسلم- ، مما دعا الكثير من الشعراء لمعارضتها أعجابًا بها.

أما الشرح فهو ذو قيمة أدبية أجاد فيه ابن هشام، حيث شرح الأبيات لغةً، وبلاغةً، وإعرابًا، وهو ما دعا الكثير من العلماء إلى اختصاره، وشرحه، ووضع الحواشي عليه.

ومن الأسباب الداعية لهذا البحث تداخل البلاغة مع كثير من مباحث النحو، وهو ما أغرى بعضهم بالتأليف عن(أثر النحاة في البحث البلاغي).

مشكلة البحث:

يجيب البحث عن التساؤلات الآتية:

1- على أي نحو يتناول ابن هشام علوم البلاغة في شرح بانت سعاد؟.
2- ما أبرز المسائل التي عالجها؟ وما مصادره فيها؟.

أهداف البحث:

1- يطمح هذا البحث إلى تقديم مادة علمية بعرضها الجانب البلاغي عند ابن هشام بوصفه نحويًا له جهود تطبيقية في البلاغة، حيث تناول نصًا شعريًا من أجل توضيح الجمال فيه.
2- تتبع آراء ابن هشام البلاغية وتطبيقاته على النصوص في شرح بانت سعاد.

حدود البحث:

جميع الآراء البلاغية المبثوثة في شرح بانت سعاد.

منهج البحث:

المنهج الذي سار عليه البحث هو المنهج الوصفي، وذلك من خلال عرض آراء ابن هشام البلاغية، ووضع خط تحتها، ثم التعليق عليها بالشرح والبيان مع موازنتها بآراء البلاغيين ما أمكن.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث. في التمهيد ذكرت نبذة موجزة عن ابن هشام وعن كعب بن زهير وقصيدته. أما المباحث الثلاثة فقد جاءت على النحو الآتي: الأول: جهود ابن هشام في علم المعاني، والثاني: جهود ابن هشام في علم البيان، والثالث: جهود ابن هشام في علم البديع. ثم انتهى البحث إلى النتائج والتوصيات.

التمهيد

1- نبذة موجزة عن ابن هشام:

هو: عبدالله بن يوسف بن أحمد، الملقب بأبي محمد جمال الدين المصري، الحنبلي، اشتهر بابن جمال الدين، وابن هشام النحوي.

شارك في علوم كثيرة وتفوق في النحو، وماز أقرانه فيه حتى أصبح أشهر النحاة على الإطلاق، وأعمقهم أثرًا في علم النحو والمشتغلين به. جلس للتدريس بالقبة المنصورية إلى جوار الشيخ موفق الدين الحجاوي الحنبلي الذي نصحه أن يتحول إلى المذهب الحنبلي فأجابه. صنّف كتبًا كثيرة نهل منها من جاء بعده، توفي سنة 761هـ[1].

2- نبذة موجزة عن كعب بن زهير:

هو: كعب بن زهير بن أبي سُلْمى المُزني المُضَري، تولت أمه تربيته بين أهلها من غطفان. أسلم بين يدي النبي- صلى الله عليه وسلم- ، وعاد فور إسلامه لأخواله يدعوهم إلى الإسلام[2].

(1) ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف ين تغري بردي الأتابكي، دار الكتب، مصر: ج 10ص336.

(2) ينظر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي، مكتبة مصر، ج 3 ص 129. وينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق: شاكر، ط دار الحديث، مصر، ج1ص141.

3- نبذة عن قصيدة (بانت سعاد):

ذكر الحاكم في مستدركه مجمل مناسبة القصيدة، وذلك أنه لما قدم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- المدينة منصرفه من الطائف، وكتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير بن أبي سلمى، يخبره أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قتل رجالًا بمكة هجوه وآذوه، وأن من بقي من شعراء قريش هم: ابن الزبعري وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فانطلق إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن أنت لم تفعل فانج بنفسك[3]. فقدم كعب المدينة، فسأل عن أرقِّ أصحاب رسول الله- صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فدُلّ على أبي بكر- رضي الله عنه- ، فأخبره خبره، وقد التثم لكي لا يُعرف، فمشى أبو بكر وكعب على إثره، حتى صار بين يدي رسول الله- صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فقال أبو بكر: الرجل يبايعك، فمدَّ النبيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده، ومدّ كعبٌ يده، فبايعه وسفر عن وجهه، وأنشده:

أنبئتْ أنَّ رسولَ اللهِ أوعدني ... والعفو عندَ رَسُولِ اللهِ مَأمُولُ

إنَّ الرسولَ لسيفٌ يُستضاءُ بِهِ ... وصارمٌ من سُيوفِ الله مَسْلُولُ

فكساه النَّبيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بردةً له، فاشتراها معاوية من ولده بمالٍ[4].

وعدد أبيات القصيدة كما أثبتها ابن هشام (57) بيتًا. مع العلم بأن ترتيب القصيدة وعدد أبياتها فيه روايات عديدة[5].

المبحث الأول: جهود ابن هشام في علم المعاني:

أشار ابن هشام إلى موضع يرد فيه الخبر موضع الإنشاء وذلك في قول زهير:

مهلًا هداكَ الذي أعطاكَ نافلة الـ قرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ

يقول: " قوله: هداك الذي، فإنه خبر لفظًا، ودعاء معنى، ومثله: غفر الله لك و صلى الله على محمد، وهو أبلغ من صيغة الطلب "[6].

وواضح أن ابن هشام يؤكد على خروج الخبر عن حقيقته لأغراض ومقاصد منها: الدعاء.

وهذا الأمر كان موضع اهتمام البلاغيين؛ لأن الدعاء بالخبر أبلغ من إخراج الدعاء بصيغه المعهودة. لما في هذه الصيغ إظهار تيقن الاستجابة، والتفاؤل بحصول الغفران فضلًا عن التأكيد والحرص على وقوعها [7].

ويذكر ابن هشام غرض التنكير في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء: 1] يقول: " وإنما ذُكِر الليل مع اختصاص الإسراء به؛ ليشار بتنكيره الدال على التقليل والتبعيض... " [8].

وغرض التنكير الوارد في الآية أفاض الحديث فيه المفسرون قبل ابن هشام[9]، ومحصلة كلامهم أن الإسراء قد تمّ في جزء من الليل، وليس الليل كله.

---

(3) ينظر: المستدرك على الصحيحين، الحاكم محمد بن عبدالله، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، ج4 ص 670- 673.

(4) ينظر: معجم الصحابة، عبدالباقي بن قانع، تحقيق: صلاح بن سالم، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط1، 1418هـ، ج2 ص 381.

(5) ينظر: شرح بانت سعاد، عبدالله بن هشام الأنصاري، تحقيق: د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، مصر، 2014م، ص45- 52.

(6) المصدر السابق ص 477.

(7) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، ج1 ص 270.

(8) شرح بانت سعاد ص 268.

ويعد التنكير شكلًا من أشكال الانزياح، تحذف فيه أداة التعريف لأغراض، منها: التقليل، حيث عُدِل عن التعريف- وهو الأصل النمطي- إلى التنكير[10].

ويذكر ابن هشام بلاغة القيد في قول كعب:

شُجتْ بذي شبمٍ من ماءِ محنيةٍ صافٍ بأبطحَ أضحى وهوَ مشمولُ

تنفي الرياحُ القذى عنهُ وأفرطَهُ من صوبِ ساريةٍ بيضٍ يعاليلُ

فهو يوضح معنى " البيض اليعاليل "، ويقول: " والذي يظهر أنها الجبال المفرطة البياض، وأن المعنى: وملأ هذا الأبطح من ماء سحابة آتية بالليل ماء جبال شديدة البياض؛ وذلك لأن ماء السحابة يتحصل أولًا في الجبال، ثم ينصبُّ منها عند اجتماعه وكثرته إلى الأبطح، **وفي هذا الكلام تأكيد لوصف الماء بالبرد والصفاء** "[11].

وكان للجملة أن تتم لو اقتصر التعبير على قوله: تنفي الرياح القذى عنه من صوب سارية. لكنّ تقييد هذه الجملة بالوصف زادها تأكيدًا لوصف الماء بالصفاء.

يُقصد بالقيد ماعدّه البلاغيون بعد استيفاء ركني الإسناد (المسند إليه والمسند) ركنًا غير أساس في التركيب، ويطلق عليه النحاة مصطلح الفضلة، وذلك مثل: التوابع، والمفعولات وغير ذلك.

ومن المؤكد أن هذه القيود ذات أثر بلاغي، فهي عندما ترد في التراكيب تكون " لزيادة الفائدة، وتقويتها لدى السامع، لما هو معروف من أن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد إيضاحًا وتخصيصًا فتكون الفائدة أتم وأكمل: لا فرق في ذلك بين تقييد المسند إليه والمسند، ولا بين التقييد بتابع ومفعول ونحو ذلك "[12].

ومن تطبيقات ابن هشام في الاحتراس ما أورده في قول الشاعر:

وإني لعبدُ الضيفِ ما دامَ نازلًا ومالي خلالٌ غيرها شيمةُ العبدِ

يقول: " مالي خلال...، احتراس، كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 54] "[13].

فإن الشاعر لو اقتصر على وصف نفسه بأنه عبد للضيف ما دام أنه نازل بداره لتوهم أنه كذلك، فلما قال: "ومالي خلال غيرها شيمة العبد" عُلم أن ذلك لفخره بخدمة الضيف؛ التي تشبه صفة العبد في خدمة أسياده، وأن ليس له من الصفات التي يشابه بها العبد إلا هذه الصفة.

وواضح أن ابن هشام يشير إلى الاحتراس، ويقرنه بما ورد في الآية الكريمة التي هي من شواهد الخطيب في الإيضاح على فن التكميل، أو الاحتراس[14].

ويذكر ابن هشام مصطلح الالتفات ويحدد بعض مواضعه في القصيدة، يقول معلقًا على قول زهير:

فلا يَغُرَّنّك ما منّت وما وعدت إنّ الأمانيَّ والأحلامَ تضليلُ

أرجو وآملُ أن تدنوَ مودتُها وما إخالُ لدينا منكِ تنويلُ

" وفي قوله: أرجو وآمل التفات عن الخطاب في قوله: فلا يغرنك إلى التكلم الذي بدأ به في قوله: فقلبي اليوم متبول، وإن كان الخطاب في قوله: فلا يغرنك لغيره فلا التفات في واحد فيهما...

---

(9) ينظر: الكشاف، ج 2ص 646. وينظر: مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط3، 1420هـ، ج20ص 292.

(10) ينظر: دراسات أسلوبية في تفسير الزمخشري، أ. د: مسعود أبو دوخة، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2011م، ص 44.

(11) شرح بانت سعاد: ص 270.

(12) علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، المكتبة العربية، القاهرة، ط3، د. ت، ص 135.

(13) شرح بانت سعاد: ص 180.

(14) ينظر: الإيضاح شرح تلخيص المفتاح، وبهامشه البغية، الخطيب القزويني، مكتبة الآداب، القاهرة، 1997م، ج 2 ص 125.

قوله: منكِ بعد قوله: مودتها فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] فإن كان قوله: أرجو وآمل التفاتًا عن الخطاب في قوله: فلا يغرنّك ففي البيت التفاتان" [15].

فأسلوب الكلام للخطاب في قوله: فلا يغرنك ثم انتقل إلى التكلم في أرجو وآمل، وهذا التفات. وفي مودتها أسلوب الكلام للغائب، ثم انتقل إلى الخطاب في قوله: منكِ. فهو لما رجا دنوها وهي غائبة، حضره طيفٌ منها، وتمثلت صورتها بين يديه، فوجد نفسه يتوجه بالخطاب إليها[16].

وواضح مما سبق أن ابن هشام موافق لرأي جمهور البلاغيين من " أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها " [17].

ويرفض ابن هشام بعض الصيغ التي نُسبت إلى الالتفات مؤكدًا على شرطه، وذلك في تعليقه على بيت حسّان رضي الله عنه:

إنّ التي ناولتني فردْتُها قُتلت قُتلت فهاتها لم تقتلِ

" وقول بعضهم: قُتلت التفاتٌ مردود؛ لأن شرطه اتحاد مدلول الضميرين ؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾[يونس: 22] " [18].

فهو يؤكد على شرط الالتفات، " بأن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدًا في نفس الأمر إلى المنتقل عنه " [19].

ويذكر ابن هشام الغرض البلاغي لوضع الظاهر موضع الضمير في أبيات القصيدة، يقول معلقًا على قول كعب:

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ متيمٌ إثرها لم يفدَ مكبولُ

وما سعادُ غداةَ البينِ إذْ رحلوا إلا أغن غضيض الطرفِ مكحولُ

" وما سعاد... الأصل: وما هي، فأناب الظاهر عن المضمر، والذي سهله أنهما في جملتين مستقلتين، وأنهما في بيتين، وأن بينهما جملة فاصلة، وأن اسم المحبوب يلتذ به بإعادته...وإنما يحسن إعادة الظاهر في الجملة الواحدة في مقام التعظيم نحو: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴾ [الواقعة: 27] والتهويل نحو: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: 1- 2])) [20].

وهنا يؤكد ابن هشام على أن العشاق يتلذذون دائمًا بذكر أسماء من يُحبون أو ما يحبون.

ويذكر ابن هشام غرضًا آخر لوضع الظاهر موضع الضمير، يقول في تعليقه على قول كعب:

أمست سعادُ بأرضٍ لا يبلِّغها إلا العتاقُ النجيباتُ المراسيلُ

" وقوله: " سعاد " ظاهر أقيم مقام المضمر، وذكره في البيت بعد ذكر ضميره في البيت قبله أحسن منه في قوله في أول القصيدة: " متيم أثرها " ثم قال" وما سعاد "؛ وذلك لأنه هنا قصد استئناف نوع آخر من الكلام، وهو وصف أرض سعاد بالبعد، وذكر ما يتصل بذلك من وصف الناقة " [21].

---

(15) شرح بانت سعاد: ص 343و351.

(16) ينظر: الإرشاد إلى تحقيق بانت سعاد، فيض الرحمن الحقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت، ص 11.

(17) الإيضاح شرح تلخيص المفتاح: ج1 ص 115.

(18) شرح بانت سعاد: ص 243- 244.

(19) الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، 1999م، ج 2 ص 159.

(20) شرح بانت سعاد: ص 200.

(21) شرح بانت سعاد: ص 363.

وهنا يشير ابن هشام إلى أن استقلال الجملة أحد دواعي الإظهار، حيث انتقل حديث الشاعر إلى وصف أرض سعاد بالبعد، وإلى الراحلة التي توصل إلى أرضها.

ومن صور الإطناب التكرير، وأشار إليه ابن هشام في قول كعب:

أُنبِئْتُ أنّ رسولَ اللهِ أوعدني والعفوُ عندَ رسولِ اللهِ مأمولُ

يقول: " وفي البيت إعادة ذكر رسول الله لإظهار التضخيم والتعظيم، ولهذا أتى بعند ولم يأت بمن؛ لأن عند أدل على التضخيم؛ ولتقوية الرجاء؛ لأنه قد ثبت وتواتر أن الصفح من أخلاق رسول الله... ففي ذكر صريح اسمه ما ليس في الضمير؛ ولأن فيه تكرار الاعتراف بالرسالة الذي هو مقتض للعفو، ومستجلب للرضا" [22].

ففي هذا الموضع يوضح ابن هشام أن إعادة لفظ رسول الله في الشطر الثاني من البيت وإظهاره للتضخيم والتعظيم، فمن شأن ذلك تحقيقٌ لرجاء العفو منه صلى الله عليه وسلم، وتوكيد للأمل، وتنبيه عن العلة، كأنه يقول: ولأنك رسول الله فأنت أحق بأن تعفو وأن تصفح [23].

وفيه معنى أشار إليه ابن هشام ضمنًا، وهو أن اعترافه بأنه رسول الله إيمان وسلام، وهذا أقوى مجيب لاستيجاب العفو وتحقيق أمله منه [24].

ومن مسائله أيضًا ما ذكره ابن هشام في قول كعب:

شُجَّت بذي شبمٍ من ماءِ محنيةٍ صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمولُ

تنفي الرياحُ القذى عنهُ وأفرطَهُ من صوبِ ساريةٍ بيضٌ يعاليلُ

أكرم بها خُلةً لو أنّها صدقت موعودَها أو لو أنّ النّصحَ مقبولُ

" وفي الجملة من قوله: " تنفي الرياح القذى عنه "...

بالنسبة إلى المعنى وهي باعتباره محتملة لثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون تعليلًا لقوله: " صافٍ ".

والثاني: أن يكون توكيدًا وتتميمًا.

والثالث: أن يكون احتراسًا؛ وذلك لأن الماء الصافي قد يعرض له أن يعلوه شيء من الأقذار، ويكون بحيث لو أزيل عنه لظهر صفاؤه وأنه لا كدورة فنفى أن يكون هذا الماء من هذا القبيل " [25].

ويشير ابن هشام إلى المجاز العقلي في قول زهير:

فلا يغرنّك ما منّتْ وما وَعَدتْ إنّ الأمانيَّ والأحلامَ تضليلُ

يقول: " تضليل: تفعيل من الضلال، أي تضييع وإبطال... والأصل ذوات تضليل... أو جعلت نفس التضليل مبالغة كقول الآخر:

ترتعُ ما رتعتْ حتى إذا ادّكرتْ فإنّما هي إقبالٌ وإدبارُ

فجعلها نفس الإقبال والإدبار لكثرة وقوعهما منها " [26].

---

(22) المصدر السابق: ص 476.

(23) ينظر: حاشية على شرح بانت سعاد، عبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق: نظيف محرم خواجه، دار فرانز شتايز فيسبادن، ألمانيا، ط1، 1410هـ – 1990م، مج 2 ص 718.

(24) ينظر: المرجع السابق الصفحة نفسها.

(25) شرح بانت سعاد: ص 261.

(26) المصدر السابق: ص329- 330.

إن إسناد التضليل إلى الأماني والأحلام مجاز عقلي، وهذا الإسناد أفاد أن الأماني التي كان يتمناها الشاعر والأحلام التي كان يحلم بها تجاه محبوبته ما هي إلا تضييع وإبطال، وكأن هذه الأماني والأحلام نفس التضليل.

واستشهاد ابن هشام على وقوع المجاز العقلي في بيت كعب السابق بما يماثله في ببيت الخنساء موفق، حيث أُسند الإقبال والإدبار إلى الناقة، وأفاد الإسناد أن هذه الناقة حين ذكرت ولدها ارتاعت من شدة ما تجد، واشتد بها الوجد، وأخذت تقبل وتدبر، وكأنها لفرط إقبالها وإدبارها صارت إقبالًا وإدبارًا [27].

وأشار ابن هشام إلى المجاز العقلي في قول كعب:

من كلّ نضاحةِ الذِّفرى إذا عَرِقَت عُرضَتُها طامسُ الأعلامِ مجهولُ

يقول: " أما يجوز أن يكون " طامس " فاعلًا بمعنى مفعول، كما قيل في: ماء دافق، وسر كاتم، وعيشة راضية؟.

قلت: لا. لوجهين:

أحدهما: أن الصحيح أن فاعلًا لا يأتي بمعنى مفعول، وأما ما أوردت فمؤول عند البصريين والبيانيين، وأما البصريون فأولوه على النسبة إلى المصادر التي هي الدفق، والكتم، والرضى، كما أن اللابن والتامر والدارع والنابل نسبة إلى اللبن والتمر والدرع والنبل، وأما البيانيون فتأولوه على المجاز الإسنادي وحقيقته دافق صاحبه، وكاتم صاحبه، وراض صاحبها... " [28].

فالطموس: اسم فاعل من الدروس والانمحاء، وطمس الطريق، وطمس يطمس طمسا: درس وانمحت آثاره وأعلامه، ومنه قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾[يونس: 88]، أي: غيرها، أي: همتها طريق مطموس الأعلام؛ لأن الطمس واقع على الأعلام في ذلك الطريق، لذا فهو فاعل بمعنى مفعول، على طريقة الإسناد المجازي الذي علاقته المفعولية.

ويبين ابن هشام رأي من جاؤوا به على النّسب ولم يجيئوا به على الفعل، فكأن العيشة أعطيت من النعيم حتى رضيت، فحسن أن يقال: راضية؛ لأنها بمنزلة الطالب للرّضا [29].

والآية الكريمة من شواهد البلاغيين فيما بُني للفاعل وأسند إلى المفعول به الحقيقي، إذ هي مرضية، فالإسناد مجازي، وأصله: رضي المؤمن عيشته. فأقيمت عيشته مقام المؤمن في تعلق الفعل، وهو الرّضا بكل، فأسندت (راضية) للضمير المستتر الذي هو للعيشة [30].

ويشير ابن هشام إلى المجاز العقلي دون أن يصرّح به، ويقرنه بشاهد قرآني فيه مجاز عقلي في بيت كعب:

ترمي الغيوبَ بِعينيْ مفردٍ لهقٍ إذا توقدتِ الحزّازُ والميلُ

قوله: " "الغيوب" إما جمع غائب كشاهد وشهود أو غيب والأول أولى ولم أرهم ذكروا إلا الثاني مع أنه مجاز، إذ الغيب في الأصل مصدر " غاب " ثم أطلق على الغائب إطلاق الغور على الغائر في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا ﴾[الملك: 30] " [31].

---

(27) ينظر: خصائص التراكيب، أ. د: محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7.

(28) شرح بانت سعاد: ص 383

(29) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرّضي : ص 344، تحقيق: محمد عبدالغني حسن، عالم الكتب، د. ن، د. ط، 1986هـ.

(30) ينظر: الإيضاح شرح تلخيص المفتاح: ج1 ص 53.

(31) شرح بانت سعاد: ص 385.

وواضح أن ابن هشام يرمي إلى أن الغيب مصدر غاب، فأطلق على الغائب إطلاق الغور على الغائر كما في الآية المستشهد بها. وعلاقة المجاز العقلي هي المصدرية.

المبحث الثاني: جهود ابن هشام في علم البيان:

تناول ابن هشام بعضًا من فنون علم البيان بشيء من العناية والتوضيح من خلال شرحه للأبيات الشعرية التي تنطوي عليها.

ومن أول هذه الفنون التي تناولها ابن هشام التشبيه، حيث ذكر بعضًا من أنواعه، وفرّق بينه وبين الاستعارة، وذكر أنواع طرفي التشبيه من حيث الحسيّة والعقليّة.

ومن صور التشبيه التي أشار إليها ابن هشام قوله في بيت كعب:

فما تدومُ على حالٍ تكونُ بِها كما تلّونُ في أثوابِها الغُولُ

" فكأنه قال: تتلون تلونًا كما يتلون الغول، وهي من تشبيه المعقول بالمحسوس، كتشبيه العلم بالنور" [(32)].

والصحيح أن التشبيه ليس من تشبيه المعقول بالمحسوس كما ذكر ابن هشام؛ لأن المشبه به ليس حسيًا، فهو يشبه تلونها وعدم بقائها على حال بتلون الغول في أثوابها، وهذا عقلي توهمي؛ لأنه بهيئته تلك لا وجود له في الواقع؛ إذ لا وجود للغول ولا لثيابها، ومن ثم فهو (المشبه به) أمر وهمي يدخل ضمن العقلي؛ لأن الخيال صنعه من أشياء لا وجود لها في الخارج أو الواقع، وهذا يختلف عن الخيالي الذي لا وجود لصورته الكلية في الواقع؛ غير أن أجزاءه موجودة ومدركة بالحواس، وهذا ما يدخل ضمن الحسي، ولعله التبس عليه الأمر لقربهما ودقة الفرق بينهما.

والذي يظهر لي أن التشبيه تمثيلي، شُبهت صورة بصورة، فالمشبّه: صورة تبدل حال المحبوبة وتغيرها فيما جُبلت عليه من الإخلاف والتبديل، والمشبّه به: تبدل حال الغول وتغيره بمختلف الأشكال. والجامع التغير والتشكّل المستمر في كلٍ.

ويشير ابن هشام إلى تشبيه القلب، وذلك عند قول كعب:

وما سعادُ غداةَ البينِ إذْ رحلُوا إلا أغنُّ غضيضُ الطرفِ مكحولُ

بأن سائلا قد يقول: " الحرف الحامل لمعنى التشبيه مقدر بعد إلا وما بعد إلا لا يعمل فيما قبلها إذا كان فعلًا مذكورًا بالإجماع، فما ظنك به إذا كان حرفا محذوفا؟.

قلت: المخلص من ذلك؛ أن يقدر حرف التشبيه قبلها، وقبل الظرف أيضًا، داخلًا على سعاد، أي: وما كسعاد في هذا الوقت إلا ظبي أغن.

فإن قلت: هذا عكس المعنى المراد؟!.

قلت: بل هو محصل للمراد على وجه أبلغ، وذلك أنهم إذا بالغوا في التشبيه عكسوه، فجعلوا المشبّه أصلًا في ذلك المعنى، والمشبّه به فرعًا عليه، وفي ذلك من المبالغة ما لا خفاء به، وعلى ذلك قول ذي الرمة:

ورملٍ كأوراكِ العذارى قطعتُهُ

وقول رؤبة:

ومهمهٍ مغبرةٍ أرجاؤُهُ كأنّ لونَ أرضِه سماؤُهُ

الأصل: كأنّ لون سمائه لغبرتها لون أرضه، فعكس التشبيه وحذف المضاف.

وقول أبي تمام يصف قلم ممدوحه:

(32) شرح بانت سعاد: ص 309.

لعابُ الأفاعي القاتلاتِ لعابُهُ وأرْيُ الجنَى اشتارتْهُ أيدٍ عواسلُ

وقلب الكلام جائز في التشبيه وغيره، وإنما يكون مقبولًا عند المحققين إذا تضمن اعتبارًا لطيفًا كما في باب التشبيه، ألا ترى أنه أفاد المبالغة بجعل الذي يراد إثبات الحكم له أصلًا، وجعل غيره محمولًا عليه، وحينئذ فيبقى في البيت مبالغة من ثلاث جهات:

إحداها: ما في الكلام من حرفي النفي والإيجاب المفيدين الحصر.

والثاني: ما فيه من عكس التشبيه.

والثالث: حذف أداة التشبيه كما حذفت في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِاٰيَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ ﴾[الأنعام: 39] فإن قلت: عكس التشبيه خلاف الأصل فلا يدعى إلا بدليل.

قلت: دليله تعذر إعماله في الظرف إلا على هذا الوجه " [33].

إن ابن هشام في كلامه السابق يصرح بمصطلح التشبيه المقلوب ويعرّفه بقوله: " إثبات الحكم له أصلًا، وجعل غيره محمولًا عليه"، ويكاد هذا التعريف أن يكون نفس تعريف البلاغيين له عندما قرروا أن التشبيه المقلوب "جعل الفرع أصلًا، والأصل فرعًا "[34]. ففي هذا النوع من التشبيه يجعل ما هو الأصل في وجه الشبه مشبهًا، وما هو الفرع مشبهًا به، فهو من هذه الوجهة يقوم على الفرض والتخييل والادعاء بجعل ما هو فرع في وجه الشبه أصلاً فيه، وما هو أصل فرعاً قصداً إلى المبالغة في ثبوت وجه الشبه للفرع الذي صار أصلاً، وعلى هذا فإن الغرض العائد على المشبه به في التشبيه المقلوب هو في الواقع عائد على المشبه، لأن لمشبه به كان في الأصل مشبهاً قبل أن يقلب التشبيه[35].

ومسألة القلب عند البلاغيين من القضايا التي دار حولها الخلاف، والرأي الراجح في نظري هو رأي محمد بن علي الجرجاني (ت729هـ) الذي وقف من القلب موقفا وسطًا، وعاب على من قال بإطلاقه، يقول: " ظنّ جماعة منهم السكاكي، أن مطلق القلب من مسائل هذا العلم، وأنه مقبول. والحق أنه ليس كذلك، لخلوه من البلاغة، اللهم إلا أن يكون قلب تشبيه للمبالغة.. ولا يوجد في القرآن... وإن جاء في القرآن ما يوهم القلب، يجب تأويله، كقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴾[الأعراف: 4] وأراد: أردنا إهلاكها "[36].

وَورود القلب في الكلام لا يُلجأ إليه إذا كان المعنى صحيحًا واضحًا، ولم تكن هناك ضرورة ملحة تدفع إلى القول به. وعلى هذا فإن " أمكن حمل الكلام على معنى صحيح، وهو على ترتيبه، فهو أولى من أن يُحمل على أنّه مقلوب" [37].

ولهذا السبب منع جمع من العلماء القلب في القرآن، وبينوا فيما استشهد به المجيزون إمكان التأويل بما يوافق النظم، أو حمل المعنى على التقديم والتأخير، أو حمل المعنى على المبالغة، أو التأويل بالتشبيه، أو حمل المعنى على المجاز [38].

---

(33) شرح بانت سعاد: ص 207- 209.

(34) أسرار البلاغة: ص 224.

(35) ينظر: علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، أ. د. بسيوني عبدالفتاح فيود، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، ط3، 1431هـ- 2010م، ص 115

(38) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: أ. د: عبدالقادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، 1997م، ص51.

(39) مفاتيح الغيب، مج10ج 2ص149.

ومحصلة القول في هذ المسألة أن ابن هشام يجيز قلب الكلام في التشبيه وفي غيره إذا تضمن اعتبارًا لطيفًا، وهذا الرأي متوافق مع رأي محمد الجرجاني السالف الذِّكر.

ويشير ابن هشام إلى الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة، وذلك في قول كعب:

إنّ الرسولَ لنورٌ يستضاءُ بهِ مهندٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ

يقول: " وهذا في اصطلاح البيانيين إنما يسمى تشبيها مؤكدا؛ لا استعارة، إذ شرط الاستعارة عندهم طي المشبه " [39].

وواضح إدراك ابن هشام للتشبيه المؤكد، وهو: " ما حُذفت أداته " [40]. والتشبيه مفرد حيث شبّه كعب الرسول بالنور- عليه الصلاة والسلام- ، وحُذفت الأداة ووجه الشبه، ووجه الشبه: الضياء في كلٍ.

وأفاض الحديث – أيضًا- عن الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة في شرح قول كعب:

وما سعادُ غداةَ البينِ إذْ رحلُوا إلا أغنُّ غضيضُ الطّرفِ مكحولُ

يقول: " فإن قلت: أتسمي هذا الواقع في البيت تشبيهًا أم استعارة؟. قلت: الذي عليه الحذاق كالجرجاني والزمخشري والسكاكي تسميته تشبيهًا بليغًا لا استعارة.

والحاصل أن الأقسام ثلاثة:

تشبيه متفق عليه، واستعارة متفق عليها، ومختلف فيه. فالمتفق عليه أنه تشبيه أن يذكر أطراف التشبيه من المشبه والمشبه به والأداة، كقولك: زيد كالأسد.

والمتفق على أنه استعارة أن يقتصر على ذكر المشبه به، ولا يكون المشبه به مقدرًا، كقولك: رأيت أسدًا اليوم في الحمام.

والمختلف فيه أن يترك الأداة، ويكون المشبه به خبرًا، إما لمذكور مبتدأ، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ ﴾ [الأنعام: 39] وكبيت كعب هذا، أو لمقدر كقوله تعالى: ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ ﴾[البقرة: 18].

وقول الشاعر:

نجومُ سماءٍ كلّما انقضَّ كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبُه

التقدير: هم كصم، وهم كنجوم؛ إذ لابد للخبر من مبتدأ.

والفرق بين هذا القسم والذي قبله، أنك في هذا القسم وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأول للثاني، وإذا امتنع إثباته له حقيقة كان لإثبات المشابهة، فكان خليقًا بأن يسمى تشبيهًا بخلاف الذي قبله، فإنك لم تضع كلامك على التشبيه، بل على استعارة اسم الأسد لمن رأيته " [41].

أشار ابن هشام إلى رأي الجُرْجاني، والزَّمخْشري، والسَّكَّاكي، في مسألة التفريق بين التشبيه البليغ والاستعارة، وآراء هؤلاء العلماء لخّصها الخطيب القزويني، قائلا: " وهاهنا شيء لابد من التنبيه عليه وهو أنه إذا أجري في الكلام لفظ دلت القرينة على تشبيه شيء بمعناه فيكون على وجهين:

أحدهما: ألا يكون المشبه مذكورًا ولا مقدرًا، كقولك: عنت لنا ظبية، وأنت تريد امرأة، ولقيت أسدًا وأنت تريد رجلًا شجاعًا، ولا خلاف أن هذا ليس بتشبيه وأن الاسم فيه استعارة.

---

(38) ينظر: القلب البلاغي في القرآن الكريم بين المجيزين والمانعين، د. مصطفى السيد جبر، مكتبة الآداب بالقاهرة، ط 1، 1430هـ-2009م، ص 227- 231.

(39) شرح بانت سعاد: ص 501.

(40) الإيضاح شرح تلخيص المفتاح، ج2 ص 67.

(41) شرح بانت سعاد: ص 210- 211

والثاني: أن يكون المشبه مذكورًا أو مقدرًا؛ فاسم المشبه به إن كان خبرًا أو في حكم الخبر، كخبر كان و إن، والمفعول الثاني لباب علمت والحال؛ فالأصح أنه يسمى تشبيهًا، وأن الاسم فيه لا يسمى استعارة، لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع فالكلام موضوع لإثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفيه عنه. فإذا قلت: (زيد أسد) فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له، فيكون اجتلابه لإثبات التشبيه، فيكون خليقًا بأن يسمى تشبيهًا إذا كان إنما جاء ليفيده بخلاف الحالة الأولى؛ فإن الاسم فيها لم يجتلب لإثبات معناه للشيء، كما إذا قلت: جاءني أسد، ورأيت أسدًا، فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعًا من الأسد، والرؤية واقعة منك عليه، لا لإثبات معنى الأسد لشيء، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه، وصار قصد التشبيه مكنونًا في الضمير، لا يعلم إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر.

ووجه آخر في كون التشبيه مكنونًا في الضمير، وهو أنه إذا لم يكن المشبه مذكورًا جاز أن يتوهم السامع في ظاهر الحال أن المراد باسم المشبه به ما هو موضوع له، فلا يعلم قصد التشبيه فيه إلا بعد شيء من التأمل، بخلاف الحالة الثانية؛ فإنه يمتنع ذلك فيه مع كون المشبه مذكورًا أو مقدرًا.

ومن الناس من ذهب إلى أن الاسم في الحالة الثانية استعارة؛ لإجرائه على المشبّه مع حذف كلمة التشبيه، وهذا الخلاف لفظي راجع الى الكشف عن معنى الاستعارة والتشبيه في الاصطلاح، وما اخترناه هو الأقرب لما أوضحناه من المناسبة، وهو اختيار المحققين كالقاضي أبي الحسن الجرجاني والشيخ عبد القاهر والشيخ جار الله العلامة والشيخ صاحب المفتاح رحمهم الله... " [42].

وبعد عرض رأي ابن هشام في الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة، وموازنته برأي البلاغيين يتضح توافق رأي ابن هشام مع رؤية البلاغيين في هذا الجانب والنقل عنهم.

ومما نص ابن هشام على أنه تشبيه بليغ الصورة الواردة في " قول الآخر:

أبيتنّ إلا اصطيادَ القلوب بأعينٍ وَجْرةٍ حينًا فحينًا

أي: بأعين مثل أعين ظباء وجرة – بفتح الواو وإسكان الجيم موضع – وإنما شبّه عينها بعيني الثور الوحشي الذي أفرد عن أنثاه؛ لأنه حينئذ يكثر تحديقه ويقوى نشاطه وخفته، وهذا تشبيه بليغ لترك أداة التشبيه، وليس باستعارة لاشتماله على ذكر طرفي التشبيه... " [43].

وهنا يؤكد ابن هشام على الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة من خلال ذكره لمجمل آراء حذاق البلاغة وهم: الجرجاني، والزمخشري، والسكاكي، الذين أكدوا على أن التشبيه المحذوف الأداة والوجه إنما هو تشبيه بليغ، وليس من الاستعارة في شيء [44].

ومن تطبيقات ابن هشام ذكره للاستعارة عند حديثه عن حذف المفعول، يقول: " أفاضوا من عرفات، أي: رواحلهم؛ لأنه مستعار من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة... " (45).

يُرْجع ابن هشام الاستعارة إلى أصلها متبعًا في ذلك الزَّمخْشري الذي يقول: إن أفاضوا "من إفاضة الماء، وهو صبّه بكثرة " (46).

ويشير ابن هشام إلى الاستعارة عند شرح قول كعب:

---

(42) الإيضاح شرح تلخيص المفتاح، ج3 ص 93- 94.

(43) شرح بانت سعاد: ص 385- 386.

(44) ينظر: التشبيه البليغ هل يرقى إلى درجة المجاز؟، أ. د عبدالعظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط1، 1423هـ – 2002م. ص 36.

(45) شرح بانت سعاد: ص 265.

(46) الكشاف: ج 1 ص 288 عند تفسير قوله تعالى: (فإذا أفضتم من عرفات) البقرة: 198.

غلباءُ وجناءُ علكومٌ مُذكّرةٌ في دفّيها سعةٌ قُدّامها مِيلُ

"وقد يستعار الغلب لغلظ غير العنق قال تعالى: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾[عبس: 30]أي: أنها غُلْب الأشجار..." [47].

والإشارة إلى الاستعارة وتقدير المحذوف فيها أوضحه ابن عاشور عند ذكر الآية السابقة التي استشهد بها ابن هشام مبينًا أنه يجوز " تقدير محذوف، أي: غلبٌ شجرها، فيكون نعتًا سببيا، وتكون الاستعارة في تشبيه كل شجرة بامرأة غليظة الرقبة..." [48].

ويذكر ابن هشام التشبيه و الكناية في تعليقه على قول كعب:

كأنّ أوبَ ذراعيها إذا عرقتْ وقد تلفّعَ بالقورِ العساقيلُ

يوماً يظلُ به الحرباءُ مصطخدا كأنّ ضاحِيَه بالشمسِ مملولُ

وقالَ للقومِ حاديهم وقد جَعَلتْ ورقُ الجنادبِ يَركضنَ الحَصا قِيلُوا

شدَّ النهارِ ذراعَا عيطلٍ نَصَفٍ قامتْ فجَاوبَها نكدٌ مَثاكيلُ

يقول: " وإذا عرقت كناية عن وقت الهاجرة، أي: كأن رجع يديها، أو سرعة تقليب يديها، وقت اشتداد الحر. والمشبه به مذكور في قوله بعد ذلك: ذراعا عيطل، وإنما خص التشبيه بهذا الوقت؛ لأن السراب إنما يظهر عند قوة حر الشمس " [49] و في موضع آخر يقول: " "ذراعا عيطل " خبر لـ "كأن " وهو حذف مضاف؛ إذ المعنى: كأن أوب ذراعيها... في هذه الحالات أوب ذراعي عيطل " [50].

إن ابن هشام يشير إلى الكناية عن صفة الواردة في قول الشاعر" إذا عرقت "، فهي ناقة سريعة في وقت الهاجرة، وهذا دليل على قوتها.

وأشار- أيضًا- إلى تشبيه الشاعر، فالمشبه: ذراعا الناقة في حال تتابع سيرها، والمشبه به: ذراعا المرأة وهي تتابع اللطم.

المبحث الثالث: جهود ابن هشام في علم البديع:

الفنون التي ذكرها ابن هشام في مسائل علم البديع قليلة ومنحصرة في اللف والنشر والجناس والسجع والترصيع.

فهو يذكر مصطلح اللف والنشر، ويحدد موقعه في البيت المستشهد به، يقول:

وخيفاء ألقى الليثُ فيها ذراعَه فسرّتْ وساءت كلَّ ماشٍ ومُصرِمِ

" أي: ورب روضة خيفاء، أي: مختلفة ألوان أزاهيرها... والليث: الأسد، أي: أنها مطرت بنوء الأسد.

والماشي: صاحب الماشية الكثيرة... والمصرم: الذي ذهبت ماشيته، والمعنى: فسَرّت هذه الروضة صاحب الماشية، وساءت الذي ذهبت ماشيته.

ولابد من تقدير مضاف، أي وكل مصرم، إذ في البيت لف ونشر، ولا يستقيم إلا بذلك))[51].

ويوضح ابن هشام أن " سرت وساءت " جاءت على سبيل الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، حيث سرت هذه الروضة صاحب الماشية، وساءت الذي ذهبت ماشيته، وكل ذلك مبني على ثقة السامع.

---

(47) شرح بانت سعاد: ص 397.

(48) التحرير والتنوير، ج 30 ص 132.

(49) شرح بانت سعاد: ص 430.

(50) المصدر السابق: ص 449.

(51) شرح بانت سعاد: ص 497- 498.

ومن لفتات ابن هشام البديعية تعليقه على قول كعب:

ضخمٌ مقلّدُها عبلٌ مقيّدُها في خلقِها عن بناتِ الفحلِ تفضيلُ

يقول: ((اشتمل هذا الشطر على أنواع من البديع:

أحدها: الجناس، وذلك في "مقلدها ومقيدها "، وهو جناس غير مستوفى، إذ تخالفت الكلمتان في الياء واللام، ويسمى مثل ذلك إذا تقارب الحرفان جناسًا مضارعًا نحو: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْوَوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: 26] وفي الحديث: ((الخيل معقود في نواصيها الخير))، وإذا لم يتقاربا جناسا لاحقا نحو: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾[الهُمَزة: 1]، ومما مثّل به صاحب الإيضاح؛ لذلك: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾[النساء: 83] وهو سهو؛ إذ الراء والنون إما من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين.

النوع الثاني: التسجيع، وهو اتفاق القرينين في الحرف الخاتم لها.

والثالث: الترصيع، وهو توازن كلمات السجع.

ومن بديع ما جاء منه قول الحريري: فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه " [52].

يوضح ابن هشام الجناس في مقلدها ومقيدها، وأنه من الجناس الغير مستوفى، أي غير تام، وهو من الجناس المضارع، ثم يقرن ذلك بشواهد أوردها الخطيب في الإيضاح[53]، ثم يستدرك على الخطيب عدّه من الجناس اللاحق قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾[النساء: 83] بأن الراء في " أمر " و النون في " أمن " من مخرج صوتي واحد أو من مخرجين متقاربين، بخلاف ما ذكره الخطيب بأنهما غير متقاربين، وعلى هذا فالأولى أن يعد جناسًا مضارعًا.

ولربما اتكأ ابن هشام على كلام سيبويه عند حديثه عن مخرج حرف الراء والنون، يقول: " ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء " [54].

وللجناس قيمة فنية في كونه يحدث المفاجأة وخداع الأفكار واختلاب الأذهان، فالسامع قد يتوهم أن اللفظ مردد، والمعنى مكرر، فعندما يرى اللفظة أعيدت عليه مبدلاً من بعض حروفها أو محذوفاً منها، وأتت بمعنى يغاير معنى اللفظة الأولى، تأخذه الدهشة لتلك المفاجأة غير المتوقعة [55].

والجناس جاء عفوًا من غير تكلف. فهذه الناقة ليست كغيرها من الإبل؛ إذ جمعت بين القوة وعظم الخَلْق، وحسن التكوين، وهذا كله مؤذن بصبرها على السير وكثرة تحملها.

ويفهم من تعريف ابن هشام للسجع في كلامه السابق أن السجع يرد في الشعر، وهو مخالف لرأي البلاغيين الذين يقولون في تعريفه: " تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد " [56].

ويريد ابن هشام بالتصريع ما كان " في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية " [57]. وبيان ذلك على ما استشهد به أن " يقرع " و" يطبع " متماثلان في الوزن والعين مثل "

---

(52) المصدر السابق: ص 395- 396.

(53) الإيضاح شرح تلخيص المفتاح، ج 4 ص 71.

(54) الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط3، 1408هـ – 1988م، ج 4 ص 433.

(57) ينظر: أسرار البلاغة: 18.

(56) الإيضاح شرح تلخيص المفتاح: 3 ص 78.

(57) المرجع السابق: 3 ص 79.

الأسماع " و " الأسجاع " و " زواجر" و " جواهر " متوازنان متواطئان على الراء، و " وعظه " في مقابلة " لفظه " في الوزن، والظاء المشالة الموصولة بهاء الغائب.

ومن المحسنات المعنوية (الرجوع) وقد أشار إليه ابن هشام في قول كعب:

أرجو وآملُ أنْ تدنُو مودّتُها وما إخالُ لدينَا منكِ تنويلُ

" فإن قلت: كيف جاز أن ينفي ظن حصول التنويل بعد ما أثبت رجاء دنو المودة؟ قلت: المودة والتنويل شيئان لا شيء واحد، فلا يمتنع أن توده بقلبها وتمنعه من نوالها على أنهما لو كانا شيئا واحدا لم يضر ذلك، فإن للشعراء طريقة مألوفة، يعود أحدهم على ما قرره بالنقض، إيذانًا بالدهش والحيرة، ويسمى ذلك في علم البديع رجوعًا، ومنه قوله:

قِف بالديارِ الّتي لم يعفُها القِدَم بَلى وغيَّرها الأرواحُ والديمُ " [58].

والمحسن البديعي "الرجوع" أسهم في الكشف عن حال الشاعر في التحير، فهو بين رجاء وخوف، رجاء من دنوها، وخوف من أن لا تدنو. وبعد أن أخبر برجائه من دنوها نقض ذلك أن شيئا من ذلك لن يتم.

واستشهاد ابن هشام بقول الشاعر " قف بالديار..." هو من شواهد البلاغيين على فن الرجوع، حيث ذكر الشاعر أن تقادم العهد لم يمح الديار وآثارها، ثم رجع وقال بأنه محاها القدم وغيرها الأرواح والديم، " فأتى بقوله " بلى " نقضا له؛ إذ لو قال: لم يعفها القدم محاها القدم كان كلامًا واهيًا موهمًا؛ لأن قائله يتفوه بما لا يشعر به، فلما قال: بلى، علم أنه نقض الكلام السابق، فجاء الإخبار يمحوها القدم وتغيرها الأرواح والديم مقبولًا لطيفًا " [59].

نتائج البحث:

1- كشف الباحث عن وثاقة الصلة بين البلاغة والنحو، فقد غدت الملحوظات البلاغية عند ابن هشام وسيلة للتطبيق على النص الشعري وتوضيح الجمال فيه.
2- أبان الباحث أن ابن هشام يفرق بين البحث البياني والنحوي من خلال تطبيقاته.
3- كشف الباحث عن بعض المصادر البلاغية التي نقل عنها ابن هشام.
4- أوضح الباحث أن ابن هشام استشهد ببعض شواهد البلاغيين، وأن استشهاداته كانت من باب القياس ومعينة على التطبيق.
5- أوضح الباحث أن ابن هشام استنبط بعض مباحث علم المعاني في شرحه للقصيدة، مثل: ورود الخبر موضع الإنشاء، والتنكير، وبلاغة القيد، والاحتراس، والالتفات، والإظهار والإضمار، والتكرير، والمجاز الإسنادي.
6- أبان الباحث أن ابن هشام ذكر شيئا من تقسيمات التشبيه؛ كتشبيه المعقول بالمحسوس. وفي شأن التشبيه البليغ أشار إليه في شرحه وحدد بعض مواضعه، وفرق بينه وبين الاستعارة ناقلا عن البلاغيين في ذلك.
7- أشار ابن هشام إلى المحسنات البديعية: الجناس، والسجع، والترصيع.

التوصيات:

- توسيع دائرة هذا البحث بالنظر في جميع مؤلفات ابن هشام والخروج بتصور كامل عن جهوده البلاغية والنقدية.

---

(58) شرح بانت سعاد: ص 360.

(59) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2 ص 395.

المصادر والمراجع:

المصادر

- شرح بانت سعاد، عبدالله بن هشام الأنصاري، تحقيق: د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، مصر، 2014م.

المراجع

1- الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، 1999م.
2- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي، مكتبة مصر. د. ط، د.ت.
3- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
4- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: أ. د: عبدالقادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، 1997م.
5- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
6- الإيضاح شرح تلخيص المفتاح، وبهامشه البغية، الخطيب القزويني، مكتبة الآداب، القاهرة، 1997م.
7- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م.
8- التشبيه البليغ هل يرقى إلى درجة المجاز؟، أ. د عبدالعظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط1، 1423هـ – 2002م.
9- تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرَّضي، تحقيق: محمد عبدالغني حسن، عالم الكتب، د.ن، د.ط، 1986هـ.
10- حاشية على شرح بانت سعاد، عبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق: نظيف محرم خواجه، دار فرانز شتايز فيسبادن، ألمانيا، ط1، 1410هـ – 1990م.
11- خصائص التركيب، أ. د محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، د.ت.
12- دراسات أسلوبية في تفسير الزمخشري، د. مسعود بو دوخة، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2011م.
13- دراسات في البلاغة العربية (علم المعاني)، د. محمد عبدالمنعم علي متولي، مطبعة السلام، القاهرة، ط2، 2004م.
14- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، تحقيق: د. حليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية بيروت،
15- علم البيان، أ. د. بسيوني عبدالفتاح فيود، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، ط3، 1431هـ- 2010م.
16- علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، المكتبة العربية، القاهرة، ط3، د. ت.
17- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق شاكر، ط دار الحديث، مصر.
18- القلب البلاغي في القرآن الكريم بين المجيزين والمانعين، د. مصطفى السيد جبر، مكتبة الآداب بالقاهرة، ط 1، 1430هـ- 2009م.
19- الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط3، 1408هـ – 1988م.
20- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
21- المستدرك على الصحيحين، الحاكم محمد بن عبدالله، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.

22- معجم الصحابة، عبدالباقي بن قانع، تحقيق: صلاح بن سالم، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط1.
23- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط3، 1420هـ.
24- مفتاح العلوم، يوسف السكاكي، ضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ- 1978م.
25- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف ين تغري بردي الأتابكي، دار الكتب، مصر. د. ط، د.ت.

Ibn Hisham 's efforts in Al- Balajah to explain Bant Souad

Abstract: This research sheds light on the rhetorical aspects of the son of Hisham's grammar (761 h), by explaining his heel poem ibn Zuhair ibn Abi Salma (t. 26h), one of the most beautiful poems spoken in the hands of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him). This study revealed the efforts of Ibn Hisham in the three eloquence sciences: meanings, statement and exquisite. In the case of semantics, the news is created, and the information is kept, and the communication is restricted, the caution, the attention, the nails, the refining and the metaphor. As far as the science of the statement is concerned, the son of Hisham mentioned some of the similarities; With regard to the eloquent analogy, he referred to it in his commentary and identified some of the subject matter, and his distinction with the metaphor was a transmission of the rhetoric. In the case of fat benefactors, Hisham's son referred to some as anagram, Sajaa and studs.

By researching the many rhetorical applications that Ibn Hisham used to reveal the beauty of this poem. The search revealed the return of Hisham's son to the scholars of eloquence, citing their evidence in their works.

Keywords: Ibn Hisham, Bant Souad, Arabic rhetoric.